بيليه وبريمه وزيدان وبابان وهيغيتا
وألتوبيللي وغروبيلار مجانين أم عقلاء؟

كرة القدم

بين الجنون والعبقرية والخيال والواقعية

إن الفــوز بكأس العالــم أو على الأقل المشاركة في منافساتها يعد أفضل وسيلة لترك بصمة أبدية في الكتاب الذهبي لكرة القــدم. إلا أن دخول التاريخ قد لا يتطلب من الوقت أكثر من جزء من الثانية. وقد لا يتطلــب إلا لحظة ينتفــي فيها العقل ليحل محله صوت الحدس. وعلى الرغم من أن اللاعبين يقضون معظم وقتهم في الاستعداد البدني والنفســي، إلا أن تلك الجرعة الصغيرة التي ترتبط بعامل المفاجأة هي ما يضفي على كرة القدم ذلك السحر الذي يميزها عن باقي الأنواع الرياضية. فبعض اللمسات والحركات الكروية الخالدة قد تكســب صاحبها لقب «العبقري» أو «المجنون» أو غيرها من الصفات التي تبقى عالقة في الأذهان.

بيليه عبقري أم مجنون؟

ولعل مقولة «لــكل مقام مقال» تصح إلى حد كبير في هذا السياق. فأكثر لاعب كان يســتعصي على الجميع توقع ما قد يفعله كان أحد أفضل اللاعبين في تاريخ الساحرة المســتديرة والأكثر تتويجا في العالــم أيضا. فهل في ذلك من عجب؟ إنه الأسطورة البرازيلية بيليه الذي اكتسب شهرة طبقت الآفاق بفضل الأهداف التي كان بإمكانه تسجيلها وتلك التي تمكن فعلا من تسجيلها على حد سواء. وإن تكلمنا عن الصنف الثاني، فلا أروع من ذلك الهدف الذي سجله خلال نهائي كأس العالم بالسويد 1958 بعد أن رفع الكرة وتمكن من تخطي أحد اللاعبين بكل سلاسة وأريحية وهي حركة مدهشــة وناجعة لم تكن معروفة آنــذاك في القارة العجــوز. ويتذكر الملك تلك المناورة البديعــة قائلا: «لقد تلقيت الكرة وأوقفتها بصدري، وظن المدافع الذي كان يراقبني أني سأســددها مباشرة إلى المرمى. لكنــي قدمت قدمي ورفعت الكرة فوقه وتخطيته. لم تكن تلك حركة مألوفة لدى الأوروبيين. فقد جرت العادة أن ينقض اللاعب على الخصم ظنا منه أنه سيختار التســديد مباشرة نحو الشباك. وقبل أن تلامس الكرة الأرض مجددا، سددتها بسرعة وســجلت هدفا». يبدو هذا الأمر في غاية السهولة...أليس كذلك؟

وبعد اثنتي عشــرة سنة، وخلال أول مباراة للبرازيل في نهائيات كأس العالم التي استضافتها المكسيك سنة 1970، ظن حــارس المرمى التشيكوســلوفاكي إيفو فيكتور أن المهاجم البرازيلي قد فقد عقله عندما كان يستعد لتسديد كرة من وسط الميدان. وكان من الممكن أن يفقد هذا الحارس صوابه فعلا لو أن كرة الجوهرة السوداء لــم تجانب المرمى بســنتمترات قليلة... لقد كانت حركة عبقرية تستحق نتيجة أفضل من الذي آلت إليها، شــأنها في ذلك شأن تلك القنطرة الكبيرة التي نفذها دون أن يلمس الكرة خلال نصف النهائي أمام منتخب أوروغواي، والتي أدهش من خلالها العالم بأسره. وهذا ما لا يجعل مجالا للشك أن بيليه كان يملك ميزة خاصة، ســواء نعتناها بالجنون أو بالعبقرية. وبعد أن هزم الملك منتخب الأزوري في نهائي البطولة بفضل مواهبه المتعددة، أكد المدافع الإيطالي تارسيســيو بورغنيش ما كان يجول في خاطر العالم بأسره حين قال: قبل انطلاق المباراة، كنت أقول لنفسي: إنه إنسان من دم ولحم مثلي». لكني أدركت بعد ذلك أني لم أكن على صواب.

توقع ما لا يمكن توقعه

لم يكن بورغنيش الوحيد الذي أحس بالعجز وقلة الحيلة. فكيف له أن يتوقع ما لا يمكن التنبؤ بحدوثه؟ وعلى نفس المنوال، كيف كان لحارس المرمى الألماني سيب ماير أن يتوقع، خلال الركلات الترجيحية في نهائــي كأس أمم أوروبا 1976 الذي جمع بين تشيكوســلوڤاكيا وجمهورية ألمانيا الفيدرالية، قيام لاعب اسمه أنتونين بانينكا بحركة أوهم بها الحارس أنه ينوي تسديد كرة قوية، إلا أنه في آخر لحظة ســددها بلمسة سحرية في غاية الخفة؟

وإلى اليوم، كلما سجل لاعب ركلة جزاء بهذه الطريقة الجريئة، نسمع نفس التعليق: «لا يحاول تسجيل هدف من هذا القبيل إلا عبقري أو مجنون».

أما الفرنسي زين الدين زيدان فقد أقدم علــى عمل عبقري وآخر مجنون في زمن لم يتجاوز 120 دقيقة خلال نهائيات كأس العالم بألمانيــا 2006 أما العمل العبقري فتمثل في خداعه لحارس مرمى المنتخب الإيطالــي جيانلويجي بوفون من ضربة جزاء، بينما تمثل العمل الجنوني في ذلك الذي أقدم عليه الأسطورة الفرنسي عندما نطح ماركو ماتيــرازي وتلقى على إثره البطاقة الحمراء، وربما كان ذلك ســببا وراء حرمانه من أن يكمل مسيرته الكروية ويحمل الكأس عاليا للمرة الثانية.

وننتقل الآن إلى نهائي مونديالي آخر وضربة جزاء أخــرى وإلهام عبقري من نوع آخر. فقد منح المدافع الألماني أندرياس بريمه، النصر لمنتخب بلاده في نهائي كأس العالم - إيطاليا 1990 بعد أن ســجل هدفا من نقطة الجــزاء وبقدمه اليمنى عوض استعمال رجله اليســرى الساحرة التي تعود تسديد الكرة بها دائما هل كان ذلك إلهاما رائعا؟ أو تكتيكا مقصودا؟ لم يكن الأمر كذلك تماما. فاللاعب نفسه علق على هذه الحركة بكل بســاطة عندما قال: «لم أفكر في أي شيء إطلاقا. كل ما أردته هو أن تستقر الكرة في الشباك». وربما جسدت بســاطة اللقطة معاني العبقرية في أبهى تجلياتها.

غير أن حــراس المرمى ليســوا دوما ضحية سرعة بديهة المهاجمين. فهم أيضا يحظــون بلحظــات جنونهــم الخاصة. فالكولومبي رينيه هيغيتا مثلا يلقب بإل لوكو (المجنون) بسبب خياراته الغريبة. حيث قام بحركته الأغرب والأكثر شهرة بملعب ويمبلي العريق خلال مباراة ودية أمام المنتخب الإنجليزي. وبدلا من أن يصد كرة عادية ببساطة، هوى إلى الأمام على يديه وصدها بكعبي قدميه يومها خرجت «ركلة العقرب» إلى الوجود أمام جمهور مشدوه. وقد علق كافيتيرو على حركته البهلوانية تلك بعد بضع سنين قائلا: «يقال انه كي يصبح المــرء حارس مرمى كبيرا يحتاج إلى شيء من الجنون».

من الجنون الى العظمة

وبينما لم ترتجف رجلا هيغيتا، لم يكن ذلك نفس حال بروس غروبيلار. ففي سنة 1984، وخلال نهائي كأس أوروبا للأندية البطلــة الذي احتضنــه ملعب نادي ايه ســي روما، تمكن حارس عرين ليڤربول وحده من ضمان فوز كتيبة الريدز خلال الركلات الترجيحية. وقبل أن يسدد برونو كونتي كرته، توجه بروس إلى الشــباك وتظاهر بأكلها كأنها معجنات سباغيتي، ثــم عندما أقبل فرانشيســكو غرازياني لينفذ ركلته، أخذ حــارس مرمى النادي الإنجليزي في تحريك رجليه بهستيرية كبيرة. وكانت النتيجة أن أهدر اللاعبان الإيطاليان فرصتين ثمينتين، بينما دخل بروس الســجل الذهبي لنادي ليڤربول، عوض أن يودع مستشفى الأمراض العقلية بسبب حركاته الجنونية.

ولعل ما يمكن أن يواسي هذين اللاعبين أن إهدارهمــا للركلتين الترجيحيتين كان ليكلفهما ثمنــا باهظا لو كانــا يدافعان عن ألوان إنتــر ميلان. فاللاعب الموهوب أليساندرو ألتوبيللي، الذي يصعب توقع ما يمكن أن يفعله، كان يستطيع بعبقريته أن يذهــب بعقل أي خصم أو زميل له في الفريق ولعل الألماني هانزي مولر يدرك ذلك تماما، إذ سبق له أن عاش تجربة حقيقية مع هذا اللاعب خلال مباراة ضمن الدوري الإيطالي أمام نادي أفيلينو ســنة 1983. فبعد أن مــرر الأخير كرة تنقصها الدقة، لم يســتطع زميله ألتوبيلي تمالك نفسه وما كان منه إلا أن أســرع مباشرة نحوه ووجه له صفعة قاسية
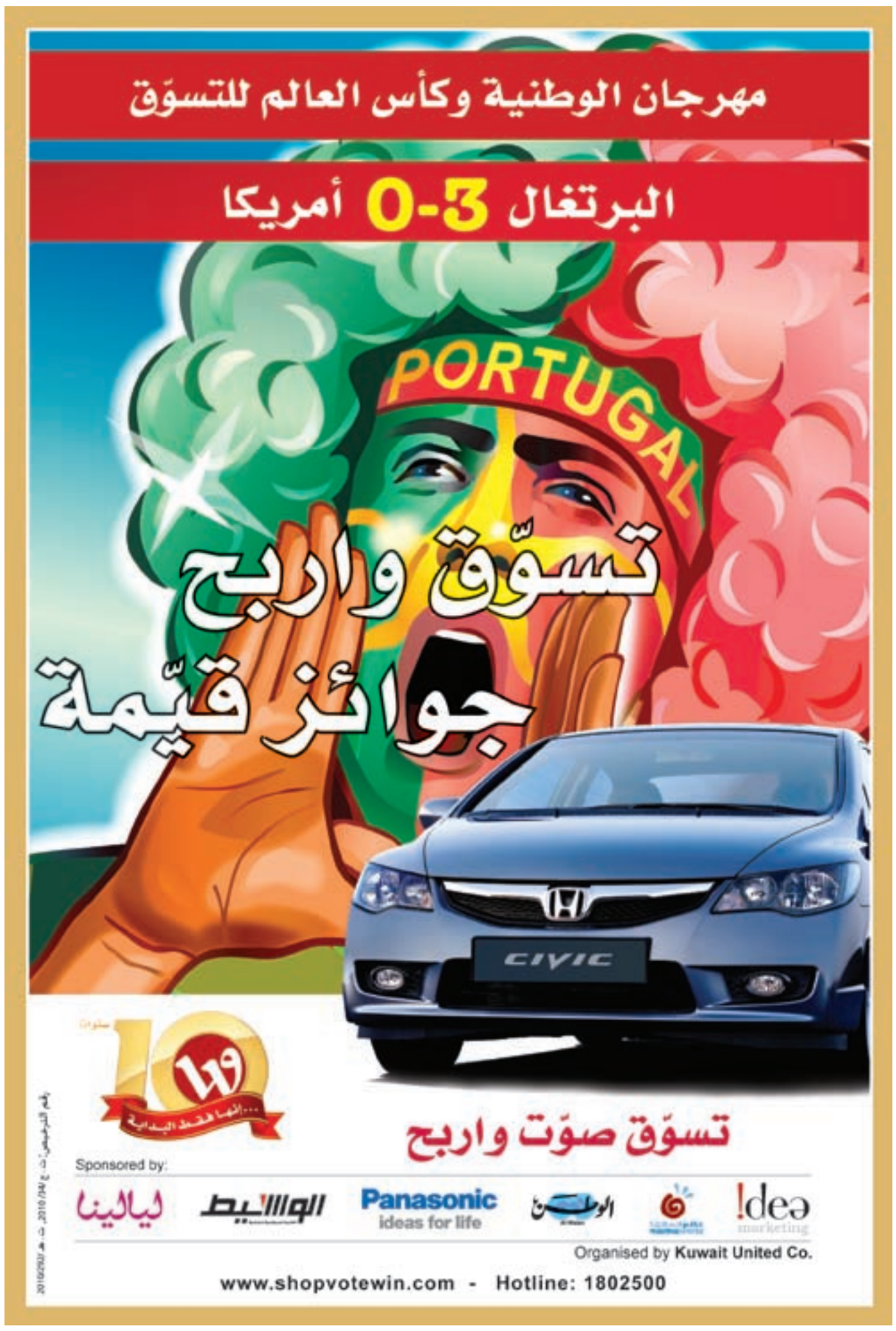
كل هذه التصرفات التي لا يمكن توقعها لم يحاول الفرنسي جان بيير بابان حتى أن الخوض في شرحها، وهو الذي سجل أروع أهدافه من لحظــات إلهام عبقرية، إذ يقول في هذا السياق: «من الصعب أن نحلل ما يحصل حينها. على أي حال، إن المرء يجد نفسه، بشكل أو بآخر، يشذ عن القاعدة ويقدم شيئا خارقا للعادة. هذا كل ما في الأمر».